

بسم الآب والابن والروح القدس الله الواحد آمين

أنواع التجارب

من رسالة معلمنا القديس بطرس الرسول الأولى، الإصحاح الرابع: "فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد، تَسَلَّحُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بهذه النية، فَإِنْ مِنْ تَأَلَّمَ فِي الْجَسَدِ كَفَّ عَنْ الْخَطِيئَةِ، لِكَيْ لَا يَعِيشَ أَيْضًا الزَّمَانُ الْبَاقِي فِي الْجَسَدِ لَشَهَوَاتِ النَّاسِ، بَلْ لِإِرَادَةِ اللَّهِ. لَأَنَّ زَمَانَ الْحَيَاةِ الَّذِي مَضَى يَكْفِينَا لِنَكُونَ قَدْ عَمَلْنَا إِرَادَةَ الْأَمَمِ، سَالِكِينَ فِي الدَّعَاةِ وَالشَّهَوَاتِ وَإِدْمَانِ الْخَمْرِ وَالْبَطَرِ وَالْمِنَادِمَاتِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ الْمُحَرَّمَةِ. الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ يَسْتَغْرِبُونَ أَنْكُمْ لَسْتُمْ تَرْكُضُونَ مَعَهُمْ إِلَى فَيْضِ هَذِهِ الْخَلَاعَةِ نَفْسَهَا، مُجَدِّفِينَ. الَّذِينَ سَتَوْفَ يُعْطَوْنَ حَسَابًا لِلَّذِي هُوَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ أَنْ يَدِينَ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتَ"

تحتفل الكنيسة بعيد الصليب لمدة ثلاثة أيام، معطرة بالصليب الرباني. وفي الحقيقة، ارتبطت المسيحية بالصليب، وأصبحت المسيحية والصليب متلازمين، فأصبح الصليب علامة المسيحية وعلامة المسيحيين. أي مكان يُرفع فيه صليب، فهو مكان يخص المسيحيين، وأي إنسان يحمل الصليب أو يرشم علامة الصليب، فهو إنسان مسيحي.

وفي الحقيقة، كان الصليب يا أحبائي أداة لإعدام للمجرمين، كان يستخدمه الشرقيون، الفُرس والرومان على حد سواء، كوسيلة لإعدام المجرمين. وقد رأينا هذا في الكتاب المقدس في مواقف كثيرة في العهد القديم، مثلما رأينا يشوع حين حارب ملوك الجنوب الخمسة، وبعد أن هزمهم، علقهم على خشبة كوسيلة لإعدام.

ورأينا في سفر أستير هامان صنع لمُزْدَحَخِي خشبة ليُصلب عليها، فكان الصليب أداة لإعدام للمجرمين. ولهذا السبب صلب الرومان السيد المسيح على خشبة، باعتبار أن هذه كانت وسيلة لإعدام المجرمين. إنما بعد أن تولى الملك قسطنطين المملكة وآمن بالسيد المسيح ألغى عقوبة الإعدام بالصليب تكريمًا للصليب

اليوم بنعمة ربنا سنتكلم عن الصليب في حياتنا العملية. فالصليب له وجهان، وجه الألم ووجه الفرح. ونريد أن نتأمل بنعمة الله في هذين الوجهين من الصليب، من جهة الألم ومن جهة الفرح.

*أولًا، كيف دخل الألم إلى العالم؟

عندما خلق الله آدم، لم يعرف آدم الألم، كان يعيش في فردوس النعيم، في فرح ونعيم، لا يوجد ألم ولا أمراض ولا أحزان. لكن جاء الألم أول ما أخطأ أبونا آدم، أول ما دخلت الخطية دخل معها الألم. فبمجرد أن آدم وحواء أخطآ، نجد أن الله وضع عداوة، قال للمرأة وللحية: "ها أنا أضع عداوة بين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عَقِيَّتَهُ" (تك ٣ : ١٥) قد بدأت العداوة، والألم، ليس هذا فحسب، بل أيضًا الله خاطب المرأة وقال لها: "تكثيرًا أكثر أتعاب حبلك بالوجع تَلِدِينَ أَوْلَادًا" (تك ٣ : ١٦) فبدأ الألم يدخل للمرأة.

إذن، دخل الألم للطبيعة، العداوة بين نسل المرأة ونسل الحية، دخل للمرأة، بالمشقة والأوجاع والتعب.

كذلك دخل الألم للرجل، في شخص أبينا آدم، عندما قال له الله: "بعرق جبينك تأكل خبزك" (تك ٣ : ١٩)

بدأ الألم للإنسان بسبب الخطية، ومن هذه اللحظة بدأت الخليقة كلها تأن وتتألم حتى الآن. البعض يتساءل "لماذا أتألم؟ ما ذنبي؟ إذا كان آدم أخطأ، فما ذنبي أنا؟ لماذا أتألم؟ آدم يتألم لأنه أخطأ."

أقول لك: نحن جميعًا في صلب أبينا آدم، آدم هو أبو البشرية كلها، ونحن جميعًا في صلب آدم، فلما أخطأ أبونا آدم، أصبحت البشرية كلها خاطئة. لهذا قال معلمنا بولس الرسول في رسالة رومية: "بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع" (رو ٥ : ١٢).

لما أخطأ آدم، أصبحت البشرية كلها خاطئة في شخص آدم.

سأوضح لك الفكرة بمثال بسيط إذا أحضرنا عجيتًا ووضعنا فيه قطعة خميرة، بمجرد أن تضع قطعة خميرة صغيرة، يختمر كل العجين، ويستحيل أن تخرج قطعة عجين صغيرة لا أثر فيها للخميرة. وهذا بالضبط مثل أبينا آدم، العجينة الكبيرة التي منها أخذت البشرية كلها. أول ما دخل خمير الخطية في آدم، أصبح كل نسل آدم يحمل خمير الخطية، حاملًا للشر. وأصبحت من هذه اللحظة، حياة الإنسان على الأرض كلها آلامًا، حتى أن المزمور يتكلم عن حياتنا على الأرض ويقول إننا نسير في وادي البكاء. وسمعنا في سفر أيوب يقول: «مولود المرأة قليل الأيام، وشبعان تعب». ما هذا؟ إنها ثمرة الخطية.

لكن الخطية التي جلبناها لأنفسنا ونتائجها، حولها الله إلى بركة. وبدأنا نرى في الطبيعة كيف يُثمر الألم خيرًا. مثلاً، إذا رأيت حبات البخور، هذه الحبات إن لم تُحرق، لا تخرج منها رائحة طيبة. وهكذا الإنسان، إن لم يدخل في بوتقة الألم، لا تظهر فيه رائحة المسيح الحلوة. الذهب إن لم يدخل في النار، لا يتنقى.

الطبيعة البشرية عندما تمر بالآلام تتطهر من الشوائب التي فيها. حبة الحنطة إن لم تدرس وتُطحن وتدخل النار لا يمكن أن ينتج منها خبز مُشيع. هكذا الإنسان الذي يحتمل الآلام ينال تعزيات من السماء، وبهذه التعزيات السماوية يصير تعزية للآخرين، يصير مُشيّعًا للآخرين. إذن، الآلام هي التي تُظهر فينا رائحة المسيح الذكية، والآلام هي التي تزيد إيماننا، والآلام هي التي تجعل منا مصدر شبع للآخرين، والآلام هي التي تزيد صلابتنا.

إذا رأينا طريقة صناعة الطوب، يجلبون كمية من الطين، ويقسمونه على قوالب ثم يضعونه في النار، فيزداد الطوب صلابته. هكذا نفوسنا، كلما دخلت في الآلام، ازدادت صلابته.

إن الألم يزيد الإنسان والنفس جمالًا.

أبونا بيشوي كامل له مقولة جميلة جدًا "إن الآلام تعتبر عملية تجميل، الله يجمل بها النفس البشرية" معروف أن اللؤلؤ، منظره بديع جدًا، اللؤلؤ يأتي من حيوان بحري اسمه المحار عندما يحدث له جرح لكي يدافع عن نفسه، يُفرز مادة معينة، وهذه المادة في النهاية تتصلب وتصبح هي اللؤلؤة. فاللؤلؤة هذه هي ثمرة الجرح الذي أصاب الحيوان البحري، فصارت اللؤلؤة الجميلة هذه هي ثمرة الألم. فالألم يا أحبائي يزيد النفس جمالًا.

لكن ليس كل ألم، أو ليس كل تجربة يمر بها الإنسان تحقق هذا النفع، لماذا؟

لأن هناك أنواعًا كثيرة من التجارب. معلمنا القديس بطرس يقول "يجب أن تحزنوا يسيّرًا بتجارب متنوعة" (١ بط ١ : ٦)

* النوع الأول من الآلام أن يتحمل الإنسان تجارب من أجل إيمانه بالمسيح.

هذا النوع من الألم قال عنه السيد المسيح "ستكونون مبغوضين من الجميع من أجل إسمي" (مر ١٣ : ١٣) أي تكون ممقوتًا من الناس ومكروهًا منهم لا لشيء إلا بسبب اسمك، اسمك مسيحي، بغض النظر عمّا

إذا كنت حسناً أم سيئاً، كون أن اسمك بطرس، أو كون اسمك مرقس، أو اسمك مسيحي، هذا يصبح سبباً للكراهية لك. على حدّ قول الآباء المدافعين في القرون الأولى عن الإيمان المسيحي، كانوا يقولون للإمبراطور: نحن موجودون في السجون لا لشيء إلا بسبب الاسم، الاسم يعني أننا نُسَمَّى مسيحيين. قالوا لنا إننا لم نفعل شيئاً يستحق السجن.

هذا هو أول نوع من الآلام التي يحتملها الإنسان المسيحي، آلام لكونه مسيحياً. لذلك قال لنا ربنا يسوع: "لو كنتم من العالم، لكان العالم يحب خاصته، لكن أنتم لستم من العالم، من أجل ذلك يبغضكم العالم" (يو ١٥ : ١٩)

هذا النوع من الآلام شاهدهنا في الكنيسة الأولى عندما كان شاول الطرسوسي يضطهد الكنيسة. أسأل شاول: هؤلاء المسيحيون، هل فعلوا شيئاً؟ هو فقط يضطهدهم بسبب اسمهم مسيحيين. لا لشيء سوى الاسم، الاسم «مسيحي». ورأينا الآباء الرسل حينما قبض عليهم رؤساء اليهود وحكموا عليهم بالجلد "خرجوا فرحين لأنهم حسبوا أن يُهانوا من أجل اسمه" (أع ٥ : ٤١)

لذلك، معلمنا القديس بطرس في رسالته يقول: "فلا يتألم أحدكم كقاتل أو فاعل شر أو متداخل في أمور غيره" (١ بط ٤ : ١٥)

في الزمن القديم كانت هذه الآلام على شكل اضطهادات، في شكل سجون، في شكل قتل. أقول لك: حتى اليوم هذه الآلام موجودة، وإن كانت تأخذ شكلاً آخر. مثلاً، تجد الإنسان المسيحي في مكان عمله مكروهًا من حوله، قد يكون بينه وبين نفسه أو في كلامه مع الآخرين يقول: فلان إنسان صالح، فلان إنسان أمين، ورغم ذلك في التعاملات يُبغض المسيحي، لماذا؟ بسبب اسمه مسيحي.

هذا هو نوع من أنواع الآلام التي يحتملها المسيحي، إذ يُكره من حوله لكونه مسيحياً، ويُسخر منه من جهة وسائل الإعلام التي بين أيديهم، ومن جهة الإمكانيات المتاحة لهم، لا لشيء سوى أنهم يسخرون من الإيمان المسيحي. وهذا نوع من الآلام. أنا كمسيحي أتألم عندما أرى إيماني يُهان، أو عندما يسخر أحد من إيماني. هذا ألم عظيم.

أيضاً من أجل اسم المسيح، قد يتألم المسيحي بسبب تمسكه بوصايا ربنا.

هناك نوع آخر من الكراهية والعداوة تزداد عندما يتمسك الإنسان بوصايا يسوع المسيح. لذلك قال لنا معلمنا بولس الرسول "كل من يريد أن يعيش بالتقوى في المسيح يسوع يتعرض للاضطهاد" هذه الظاهرة في كل مكان في العالم لكن شكل الاضطهاد يتغير، ففي الشرق له مظهر، وفي الغرب له مظهر آخر. لكن أي إنسان مسيحي يريد أن يعيش بحسب وصايا يسوع المسيح لا بد أن يُضطهد. ولهذا قال السيد المسيح "طوبى للمطرودين من أجل البر" أي الذين يُبغضون بسبب تمسكهم بالبر ووصايا المسيح.

مثال بسيط: لو كان هناك إنسان، لأنه مسيحي، يريد أن يسير بالنقاء والطهارة، يريد أن يعمل بالأمانة، سيتم محاربته من أقرب الناس له، عندما يحاول الإنسان أن يتمثل بوصايا المسيح، قد يتعرض حتى لرفض من أهل بيته. ماذا يعني هذا؟ هذا صليب موضوع على الإنسان المسيحي. ولهذا قال الكتاب المقدس "بضيقات كثيرة يجب أن ندخل ملكوت الله" هذا هو أول نوع من الآلام يحتمله الإنسان.

* النوع الثاني من الآلام فهو تجارب أو ثمرة أعمال الإنسان.

النوع الثاني هو أن الإنسان يدخل في الألم نتيجة لأعماله. ماذا يعني نتيجة أعماله؟ الكتاب المقدس يقول "كل واحد يُجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته" (يع ١ : ١٤) معلمنا بولس الرسول يقول "ما يزرعه الإنسان، يحصد" (غل ٦ : ٧) فالإنسان يحصد ثمرة أعماله.

هذا الأمر ينطبق على الناس الأبرار وينطبق على الناس الأشرار

١. أبونا يعقوب، إنسان بار لكنه خدع أبوه اسحق في مقابل ذلك:

- خدعه خاله لابان ٣ مرات (مرة في زواج الأولى ومرة في زواج الثانية ومرة في أجرته)

- نرى أولاده يخدعوه ويقولون له إن ابنك يوسف مات وأن الذئب افترسته، وهم كانوا قد باعوه.

- نتيجة أنه خدع أخيه عيسو كان في رعب عندما ذهب ليلتقي بأخيه عيسو نتيجة أعماله لأن ما تزرعه فستحصده.

٢. موسى الذي كان يُدعى كلیم الله، كان يتكلم مع الرب كما يتكلم الرجل مع صاحبه، كان يتكلم مع الرب وجهًا لوجه، وكأنه يرى الله.

لكن ماذا حدث لموسى عندما خالف وصية الله؟ أمره الله أن يكلم الصخرة، لكنه ضربها. وعقابه أن لا يدخل أرض كنعان. وموسى كان يتوسل إلى الله مرات كثيرة، فقال له الله "كفى كلامًا في هذا الأمر" لأن نتيجة العمل الذي قام به هو ما يجب أن يحصده.

- "ما يزرعه الإنسان، إياه يحصد" هل رأيت أحدًا يزرع شوغًا ويحصد عنبًا؟ مستحيل! هل يزرع حسكًا ويحصد حسكًا؟ نعم! من يزرع شوغًا يحصد شوغًا، ومن يزرع حسكًا يحصد حسكًا. هذا قانون الله.

حتى لو كان الإنسان بارًا

٣. ماذا عن داود؟ قال الله عنه "فتشت قلب ابن يسي ووجدته حسب قلبي". ومع ذلك، عندما أخطأ داود وزنى مع امرأة أوريا، رفع الله خطيئته عنه، لكن لا بد أن يحصد ما زرعه.

- مات ابنه الذي جاء بسبب خطية الزنا.

- زنى أولاده: أمنون زنى، ثم قتل أبشالوم أمنون، ثم قام أبشالوم عليه وحاول قتله كل هذا بسبب أعماله.

أيضًا، بالنسبة للأشرار، الشرير يحصد نتيجة شره هنا على الأرض، بخلاف الدينونة الأبدية التي تنتظره. - -

- فالناس الأشرار الذين كانوا في أيام سدوم، أرسل الله عليهم نارًا أحرقتهم.

- وهكذا في الطوفان، وهكذا في الضربات العشر التي ضرب الله بها مصر.

كل هذه آلام ثمرة أفعال الإنسان، سواء كان بارًا أو كان شقيًا. مرات كثيرة، نحن نتألم بسبب سوء أعمالنا. مثلاً، الإنسان يسيء اختيار أمر معين أو يسيء اتخاذ قرار معي، وبسبب خطئه في اتخاذ ذلك القرار يدخل في سلسلة من الآلام. إن كان قد اتخذ القرار الصائب من البداية لكان جنب نفسه كل هذه المشاكل.

* مثال على ذلك من الكتاب المقدس

رجل مثل لوط عندما حصلت خصومة بين رعاة لوط ورعاة إبراهيم، فقال إبراهيم له: يا لوط، نحن إخوان، لا ينبغي أن نختلف، فالأرض واسعة. فلنذهب شرقًا أو غربًا أو شمالًا أو جنوبًا. فيقول الكتاب المقدس إن لوط رفع عينيه ورأى أرض سدوم، جنة الله كأرض مصر. فقرر لوط أن يأخذ أرض سدوم. لماذا يا لوط؟ قال: لأن الأرض فيها خير. أما الناس في سدوم فهم أشرار. لوط نظر إلى جانب واحد، أن الأرض غنية، أرض فيها خير كثير. فأخذها "كان لوط البار بالنظر والسمع، وهو ساكن بينهم، يعذب يومًا فيومًا نفسه البارة بالأفعال الأثيمة".

في حياتنا تحدث كثيرًا، مثل زواج بُنيّ على أساس اختيار غير صحيح. إنسان كل ما أعجبه في الطرف الآخر مجرد إمكانيات مادية، أو نواحي عاطفية، أو جمال جسدي. وبعد ذلك يبدأ يحصد سنوات من الآلام ومن الحزن.

وغالباً ينظر الإنسان فيتساءل: لماذا يا رب هكذا؟ لماذا هذا البيت يتخبط ويتكسر؟ فيقول الله له: أليس هم من اختاروا؟ بكامل إرادتهم

وهكذا في جوانب كثيرة من حياتنا، يختار الإنسان مكاناً معيناً في العمل أو مهنة معينة، وهو يعلم تمامًا أن هذه المهنة في غاية السوء، أو إنسان من أجل محبة المال يعذب نفسه بأوجاع كثيرة

لكي يكون الموضوع واضحاً في أذهاننا، فرضنا الإنسان أثناء الاختيار بدأ يتألم نتيجة سوء اختياره، هل لا علاج له؟ أقول لك: العلاج هو أن يعود الإنسان إلى ربه بالتوبة، وتؤكد أن الله يحول هذه الآلام إلى خير للإنسان. هذه مسألة بيد الله. أي: أنا أخطأت في الاختيار وبدأت أجني ثمار سوء اختياري. يوم يعود الإنسان إلى الله بالتوبة، الله قادر أن يحول هذه الآلام إلى خير له.

* النوع الثالث من التجارب فهو تجارب نتيجة حسد الشيطان وأعوانه، التي تسبب للإنسان آلاماً كثيرة.

يقول معلمنا القديس بطرس "هُودًا إبليس عدوكم، يجول كأسد زائر" (إبط ٥ : ٨) . هذه هي التي من أجلها نصلي في كل صلاة شكر نقول كل حسد وكل تجربة وكل فعل الشيطان. لكن هل كل حسد يعني حسد الناس؟ لا، ليس فقط ذلك، بل نقول: حسد الشيطان، كل حسد، وكل تجربة، وكل فعل الشيطان، كلها نتيجة عمل الشيطان.

- الشيطان يحسد الإنسان. رأينا هذا الأمر واضحاً جداً في حياة أيوب. كان أيوب إنساناً بارّاً يتَّقِي الله ويبتعد عن الشر، وربنا نفسه شهد على بر أيوب، وبسبب ذلك أثار هذا الأمر حسد الشيطان. فوضع الشيطان في قلبه أنه لابد أن يجرب أيوب. تجربة أيوب هي ثمرة حسد الشيطان.

- قصة أخرى، كان هناك راهب متهاون في صلاته وعبادته، هذا الراهب كان مسافراً وحل المساء، فدخل مغارة لينام. وربنا أراد أن يسمح حوار بين شيطانين. فقال أحد الشياطين للآخر: "الراهب الجسور جاء لينام في المقبرة، تعال نرعبه". رد عليه الشيطان الآخر: "لا داعي للتعجب لأن هذا الراهب يطيعنا في كل شيء، متهاون في الصوم والصلاة، لماذا نتعب أنفسنا؟ دعه ينام، فهو تابع لنا".

عندما سمع الراهب هذا الكلام، تحرك قلبه للتوبة. أريد أن أقول لك: عندما يجربك الشيطان، هذه علامة أنك تحمل في داخلك شيئاً طيباً، لأن لو رفع يده عنك وتركك تفعل ما تريد، فاحذر على نفسك. الشيطان يقول لك: لماذا أتعب نفسي معك؟ أنت لي، أنت معي. لكن إن كان الشيطان يجربنا، فذلك لأنه يرى فينا شيئاً طيباً، وإلا لما تعب معنا.

- رأينا هذه التجربة مع يوسف الصديق، عندما رفض الخطية التي أرادت امرأة فوطيفار. هذا الأمر جعل الشيطان يغتاظ من يوسف، وقرر أن يدفع يوسف الثمن عبر الحسد والفتنة. فخطط الشيطان فخ ليوسف، وكانت النتيجة أن تظلم امرأة فوطيفار يوسف، ويدخل السجن. هذه تجربة سببها حسد الشيطان ليوسف.

- أيضاً، الشيطان في حسده قد يحرك أعوانه من الناس الأشرار والمُخَادِعِينَ. رأينا هذه الحكاية في قصة دانيال، عندما رفض السجود أمام الملك. الشيطان حرك الناس الأشرار ليشتكوا على دانيال أمام الملك. فسألوهم: ماذا فعل لكم دانيال؟ أجابوا بالافتراء بدافع حسد الشيطان. فكانت النتيجة أن دانيال رُمي في الجُب.

* نوع رابع من التجارب يُسمى تجارب امتحانات الإيمان.

امتحانات الإيمان تشبه عندما يكون لدينا ولد في الصف الثالث، ثم يترقى للصف الرابع، فيخضع للامتحان. وعندما ينجح في الامتحان، يترقى للصف التالي. هدف الامتحان هو أن يرتقي الإنسان، أن يزيد في الدرجة، وهكذا يفعل الله. عندما يحب الله أن يزيد الإنسان في الإيمان، يسمح له بأن يدخل في امتحان. وهذا الامتحان قد ينجح فيه الإنسان أو قد يسقط.

وعندما يسقط الإنسان في هذا الامتحان، من رحمة الله يعيده ليمتحن مرة أخرى ليحصل على فرصة ثانية.

- كمثال على ذلك معلمنا القديس بطرس الرسول وقع في الامتحان عندما قال "لا أعرفه لكن الله أعطاه فرصة أخرى

- وأيضًا مثل عيسو، كان له امتحان بين الروحيات والماديات، وسقط في الامتحان عندما اختار بَيْعَ البكورية مقابل طبق العدس.

- هناك آخرون دخلوا في امتحانات الإيمان ونجحوا، مثل أبونا إبراهيم "وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم" (تك ٢٢ : ١) الله يريد أن يرفعه درجة أعلى في الإيمان

إسحاق هو ابن الموعد ولكن كيف يذهب ليزبحه؟ كانت هذه تجربة جديدة لإيمان إبراهيم الذي كان على يقين وثقة أن الله الذي أعطاه إسحاق من مستودع سارة الميت فالله قادر أن يقيمه من الموت بعد ذبحه.

- مثال آخر أوضح، قصة الثلاثة فتيان الذين أمرهم الملك بالسجود للتمثال، وإلا زُموا في النار. ردوا بثقة "هوذا يوجد إلهنا الذي نعبد يستطيع أن ينجينا من أتون النار المتقدة، وأن ينقذنا من يدك أيها الملك.

وإلا فليكن معلوما لك أيها الملك، أننا لا نعبد آلهتك ولا نسجد لتمثال الذهب الذي نصبته"

الملك قال لهم: "تعالوا وادخلوا في الامتحان، إما أن يطفئ الله النار أو أننا سنرميكم فيها." فدخلوا النار وهم على إيمانهم، ورأوا أن الله كان يحميهم داخل النار. وخرجوا من التجربة بإيمان جديد بخبرة جديدة

بثقة جديدة، بأن الله قادر أن ينجيهم حتى لو كانوا داخل النار بدون أي إصابة هذا إمتحان ونتيجته أن إيمانهم زاد.

ومعلمنا القديس يعقوب يقول أن هذا النوع من التجارب حين يأتي افرح به، لأنه سيرتقي بإيمانك ويجعلك في مرتبة أعلى.

هذا الكلام يخصنا لأن هناك امتحان لإيماننا موضوع أمامنا جميعًا، امتحان صعب جدًا هو نجاح الأشرار هو أكبر امتحان.

- في زمننا هذا نجد أن الشرير ينجح، وهذا الامتحان في غاية الصعوبة. تنظر لأي شخص متدين وتجد بجانبه شخصًا آخر مليئًا بالمكر والغش والأساليب الملتوية التي تُظهر حَيْلَهُ. هذا امتحان صعب جدًا، وكثير من المسيحيين يسقطون فيه.

هل أتخلى عن الأمانة؟ هل أتخلى عن تمسكي بربنا؟ هذا هو امتحان إيماننا امتحان قوي جدًا فأنت ترى الشرير ولا تغرّ بالأشرار، ولا تحسد أصحاب الإثم. ليس لأن الشرير نجح أن أسلك طريقه الملتوية، لا، حتى لو نجح. لديّ ثقة أن لي إكليلاً في السماء في النهاية. ثقة أن الله سيدبر لي الخير لكن لا يمكن أجاري الشرير.

- امتحان آخر نسمعه كثيرًا في هذه الأيام وهو لجوء الكثيرين إلى أعمال السحر والدجل

الدخول في هذا الطريق الخطير، هو امتحان يا أحبائي معظم المسيحيين هذه الأيام يواجهون امتحان السحر الذي بدأ ينتشر.

يُغلق البعض عيونهم ويسقطون في هذا الامتحان لأن الإنسان يسلم نفسه لدائرة الظلمة، دائرة الشيطان. في امتحان آخر قد تكون هناك فرصة للإعادة، أما هذا الامتحان إذا سقطت فيه ودخلت الدائرة المظلمة، فلن تخرج منها سالمًا.

*** كيف نفرق بين التجارب التي هي امتحانات إيمان، وبين التجارب التي هي نتيجة ثمار أعمالنا؟**

الفرق جوهري، وهو مهم جدًا عشان الإنسان لا يخطئ في فهم موقفه مع ربنا، لأن طريقة التعامل مع كل تجربة تختلف.

العلامات التي تميز تجربة امتحان الإيمان من عند ربنا:

١. التجربة التي من الله فيها تعزية ومساعدة روحية

بمعنى أنه رغم الألم والضييق تجد الإنسان عنده سلام داخلي وراحة قلبية حتى وسط الألم. مثال دانيال لما كان في الجُب، ربنا أرسل له ملاك ساعده وسد أفواه الأسود إذًا الامتحان من الله يكون معه تعزية ومعونة، حتى لو الألم كبير.

في البداية قد تكون ضعيف ولا تحتمل، لكن بالصلاة واللجوء لربنا، تشعر بالتعزية السماوية والنعمة معلمنا بولس الرسول كان مريضًا وصلى من أجل الشفاء، ربنا قال له "تكفيك نعمتي" ليس بالضرورة أن تكون النعمة هي الشفاء، لكن النعمة جعلت مرضه لا يعطله عن خدمته ولا ينكسر أمام الضيقات التي مر بها لكن رغم كل هذه التجارب نرى معلمنا بولس الرسول ثابت ويكمل الطريق. هذه هي ثمرة نعمة الله معه.

أحيانًا تكون طريقة الله في علاج المشاكل والضيقات هي أن تستمر الضيقة لفترة لأنه مع هذه الضيقة يعطي نعمة، احتمال، يعطي صبر، تعزية، سلام، فيحتمل الإنسان الضيقة بارتياح. معلمنا القديس بطرس عندما ألقوه في السجن، كان نائمًا نومًا عميقًا لدرجة أن الملاك ضرب جنبه ليوقظه .. لأن القديس بطرس كان عنده سلام الله رغم التجربة بولس وسيللا في السجن كانوا يصلون ويرنمون، وكان عندهم فرح وسلام عجيب وسط الألم والظلم. هذه علامة من علامات أن التجربة دي من الله لأن فيها نعمة ومعونة.

٢. التجربة التي من الله يعقبها بركات كثيرة جدًا

أيوب بعد أن دخل في التجربة التي من الله، ربنا ضاعف له كل شيء ورده له أضعاف أضعاف، الغنم والبقر والمواشي والجمال والعبيد. كل شئ أخذ مضاعف كثمرة للتجربة. يوسف رغم كل الخيانات والظلم الذي واجهه تألم لفترة وفي النهاية خرج ثاني رجل في مصر بعد فرعون كل هذه البركات بخلاف الأكاليل التي تنتظر الإنسان في السماء.

* النوع الخامس والأخير من التجارب هو التجارب الاختيارية

آلام الإنسان الروحاني يختارها لنفسه بكامل إرادته وهي التي قال عنها السيد المسيح "ادخلوا من الباب الضيق" (مت ٧ : ١٣)

- في زمن الحاكم بأمر الله، كان يضطهد المسيحيين، أمر أن كل إنسان مسيحي يلبس في رقبتة صليب وزنه ٥ رطل وكانوا يلبسون الصليب بكامل إرادتهم.

- بعض الآلام يختارها الإنسان المسيحي لنفسه مثل أن يختار أن إنسان ألا يميل قلبه لأي محبة غريبة ويهمله أن يكون قلبه كاملاً في المحبة أمام الله، لذا يحذر بشدة أن تلتفت أفكاره إلى أشياء شريرة. لذلك يصلب فكره ليل نهار، أي يضبط فكره ويقاوم أي فكر سيء يخطر له، فيردّه بقوة. مثال على ذلك القديس سمعان الخراز، عندما جاءت إلى عينه نظرة شريرة، وضع صليبًا على نفسه. هذا الصليب هو ضبط للفكر، وضبط للحواس، وضبط لللسان، وضبط للمشاعر.

- أيضًا صليب العبادة، وهو صليب اختياري يختاره الإنسان المؤمن طريقًا إلى الملكوت. إنسان واقف يصلي ويده مرفوعة رغم ألم ظهره ورجله ويديه، وهو يصلب نفسه ويضغط على ذاته كي لا تخفض يده أو يختصر صلاته. قد يقول البعض: "لماذا لا تصلي جالسًا؟"، فالرب يسمع حتى وأنت جالس أو نائم، لكنه يحمل الصليب بإرادته.

الصوم والانقطاع والميطانيات كلها صليب إرادي يقوم به الإنسان باختياره ورغبة منه. وعندما يرى الناس أن حمل الصليب يجلب لهم تعزية وسلامًا وفرحًا، يقولون: "نحن أيضًا نحمل صليبنا بإرادتنا، لا ننتظر أن يأتي إلينا من الخارج"

وفيما يخص الصلاة، هناك نقطة مهمة قالها القديس مار إسحق: عظمة الصلاة لا تكمن في التعزيات أو الدموع التي نأخذها أثناء الصلاة، فهذه عطية من الله. بل العظمة الحقيقية للصلاة هي أن تثبت فكري طوال فترة الصلاة. وأشعر أن كثيرين لا يفهمون هذا المعيار جيدًا. فمنهم من يعتقد أن الصلاة الجميلة هي التي يصاحبها العزاء والدموع، ولا يترك الصلاة مهما كان التعب شديدًا. ولكن القديس مار إسحق يقول: لا، هذه ليست الصلاة العظيمة. الصلاة العظيمة التي يكون فيها عدم سرحان ويكون لها إكليلًا من الله هي الصلاة التي، عندما تضعف فيها وترتاح أو تسرح، تعود وتثبت نفسك وتواصل الصلاة. -الصلب الآخر الذي يفرض عليك كمسيحي هو احتمال أن تواجه من يشتمك، وبهينك، ويظلمك. فمهمة المسيحي هي أن يغفر لمن يسيء إليه. هذا هو صليب اختياري.

* بركات التجارب:

١. التجربة تُظهر قوة الله. فرعون عندما أذل شعب بني إسرائيل في أرض مصر ظهر بوضوح قدرة الله وقوة الله. فالله أحيانًا يسمح لنا بالدخول في ضيقة ومليئة بالتحديات، حتى تزداد الضيقة، ونشعر أننا على وشك الانهيار، لكن الغرض من ذلك أن يظهر اقتدار الله ويظهر قوته.
٢. الآلام تُصليح أولاد الله. خذ مثال يوسف الذي كان ابنًا مدللًا ودلته عائلته، لكن عندما دخل في التجارب أصبح إنسانًا أقوى وأشد.
٣. الآلام هي سبب بركة لنا، ولكل الذين حولنا أيضًا. مثل يونس، حين دخل في المحنة، كان بركة للناس من حوله؛ تَبَّتْ في إيمانه، وأهل السفينة أيضًا تابوا.
- أحيانًا، المرض أو التجربة تجعل الإنسان يقترب أكثر من الله، وتكون سببًا في اجتماع أهل البيت حول الصلاة والعبادة. الآلام لها بركات كبيرة لنا ولمن حولنا.

* نصيحتان وتساعدنا على احتمال الآلام:

١. ثق أن كل تجربة تأتيك سواء بسماح من الله أو تكون ثمرة أعمالك عندما تحتملها بشكر ثق أن الله يحول كل الأمور إلى خير للذين يحبونه.
٢. ثق أن الله لا يدعكم تجربون فوق ما تحتملون صدق أن للتجربة نهاية، مهما طال الوقت، فلا يوجد ألم دائم أو ضيق يدوم إلى الأبد.
٣. ثق أن التجربة لها نهاية مهما طالَت
٤. وأخيرًا، لا تحاول أن تفهم كل ما يفعله الله الآن. في لحظات الضيق قد تتساءل: "لماذا يفعل الله هذا؟" لكن تعلم أن لا تفهم كل شيء الآن "لست تفهم الآن ما أنا أفعل"
٥. النقطة الأخيرة هي "تحصّن بالصلاة." في لحظات الضيق، عليك أن تلجأ إلى الصلاة، فكلما لجأ الإنسان إلى الله بالصلاة، منحه الله النعمة وفتح له مخرجًا من كل ضيق. ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد، آمين.